وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أم البو اقي
قسم العلوم السياسية، رقم الهاتف: 032-56-31-38
Email : politicaldeprtoeb@gmail.com Site : http://www.univ-oeb.dz/fdsp/

المحاضرة الرابعة، بعنوان:

المفاهيم والنظريات في البحث العلمي

أهداف المحاضرة:

تسعى هذه المحاضرة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- استيعاب ماهية المفهوم العلمي، خصائصه الإبستمولوجية، ومسار تحويله المنهجي من التجريد إلى القياس الميداني.
- التعرف على ماهية النظرية العلمية، وظائفها التحليلية، خصائصها، وتصنيفاتها المنهجية في العلوم السياسية.
- فهم العلاقة التفاعلية والديناميكية الدائرية بين المفهوم والنظرية عبر المسارين الاستقرائي والاستنباطي.
- اكتساب مهارة الإجراء المنهجي واشتقاق المؤشرات والمتغيرات وتطبيقها على ظواهر التحليل السياسي.

مقدمة المحاضرة:

يمثل تصميم البحث الاجتماعي والسياسي الإطار الهيكلي والخطة التنفيذية التي يبني عليها الباحث مشروعه العلمي، على نحو يشبه عمل المهندس المعماري في وضع المخططات الإنشائية لمبان مختلفة المقاصد والأشكال؛ وهنا يأتي البحث السياسي العلمي العلمي ليتجاوز حدود المعرفة اليومية المتأتية من السلطات والأفكار الثقافية والخبرات الحسية المباشرة، التي غالبا ما تشوبها عيوب التعميم الزائد، والملاحظة غير الدقيقة، والإدراك الانتقائي. ولتحقيق فهم منهجي ودقيق للواقع الاجتماعي.

I. المفاهيم في البحث العلمي:

تمثل المفاهيم التكوين والبناء التجريدي الأساسي في البحث العلمي، كون المعرفة الإنسانية تنطلق في أصلها من إدراك الوقائع والمحسوسات ثم ترتقي إلى مستوى التجريد لاستخلاص الخصائص والعلاقات المشتركة بين الظواهر الملاحظة؛ وفي هذا السياق يعد الضبط المفهومي شرطا منهجيا رئيسيا لتفادي الغموض واللبس الذي يكتنف ألفاظ الحياة اليومية، التي تلزم الطالب-الباحث بالدقة والاهتمام بالمعاني المحددة للمصطلحات التي يصوغ بها مشكلة بحثه؛ كما ينتقل الباحث عبر الإجراء المنهجي من التعريف النظري المجرد للمفهوم إلى التعريف الإجرائي الصريح، الذي يربطه بمؤشرات واختبارات عملية تقيس النشاط أو الظاهرة، بهدف تحديد المتغيرات بدقة وإخضاع العلاقات بينها للضبط والقياس الميداني والمعالجة الإحصائية الدقيقة.

1. ماهية المفهوم ودلالته الابستيمولوجية:

- **التعريف اللغوي:**

في اللغة العربية، يشتق لفظ "المفهوم" من الفعل الثلاثي (فَهِمَ)، ويُقال" :فَهِمَ الشيءَ" أي عَقَلَهُ، وعَرَفَهُ، وعَلِمَ مَغْزَاهُ وتَصَوَّرَ مَعْنَاهُ، والمفهوم في أصله اللغوي هو اسم مفعول يدل على ما يُفْهَمُ من اللفظ.
يعود الكلمة في الإنجليزية والفرنسية إلى الأصل اللاتيني *(Conceptus)* المشتق من الفعل *(Concipere)* المكون من (*com-* بمعنى معا+ *capere* بمعنى أخذ أو استوعب)، والذي يعني "الاستيعاب الذهني" أو جمع الخصائص وإدراكها داخل قالب فكري واحد

- **التعريف الاصطلاحي:**

يعرف "المفهوم العلمي" بأنه بناء عقلي وتجريد ذهني *(Mental Abstraction)* يجمع الخصائص والسمات المشتركة لظاهرة معينة أو جمهرة من الوقائع والأحداث الملاحظة، بهدف اختزال الواقع المعقد وتيسير عمليات التفكير والتواصل العلمي".

- **الدلالة الابستيمولوجية في مناهج البحث:**

- **حجر البناء الأساسي للتفكير العلمي**، حيث يشكل المفهوم اللبنة المحورية والأولية التي تبنى عليها الفرضيات، المتغيرات، والأطر النظرية والنماذج التفسيرية في البحوث الاجتماعية والسياسية؛
- **الوساطة المعرفية بين التجريد والواقع**، ليعمل المفهوم كوسيط معرفي ينقل الباحث من مستوى الملاحظة اليومية المشتتة للوقائع المادية، إلى مستوى التكوينات الفرضية والتجريد المنظم، ما يتيح التوصل إلى قوانين وتعميمات علمية قابلة للاختبار؛
- **تجريد الألفاظ وتحديد المعاني الفنية**، التي تكمن الوظيفة الإبستمولوجية للمفهوم العلمي في تجريد الألفاظ المستعملة في اللغة اليومية من دلالاتها المشتركة والفضفاضة، وتزويدها بمعان فنية ودقيقة *(Technical Meanings)*، تضمن الموضوعية والدقة وتمنع اللبس والغموض أثناء التواصل بين العلماء والباحثين.

2. خصائص المفهوم العلمي:

تتميز المفاهيم في البحث العلمي بمجموعة من الخصائص المنهجية والإبستمولوجية المحددة:

- **التجريد والتعميم** *(Abstraction and Generalization)*: المفهوم ليس واقعة جزئية أو حادثة فردية منفردة، بل هو تجريد ذهني يستخلص العناصر والسمات البنائية المشتركة بين مجموعة متباينة من الظواهر والأحداث الملاحظة؛
- **الدقة والوضوح المفاهيمي** *(Precision and Conceptual Clarity)*: يتطلب المفهوم العلمي صياغة محددة تخلو من الغموض والتناقض والكلمات العاطفية أو الانطباعية الشائعة التي تضمن ثبات دلالته المعرفية داخل البحث؛
- **الاتساق المفهومي والنظري** (*Theoretical Consistency*): يستمد المفهوم دلالته من الإطار النظري الذي يندرج ضمنه، بحيث يتسق مع البناء المعرفي للدراسة ولا يتضارب مع التراكم العلمي في المجال المدروس؛

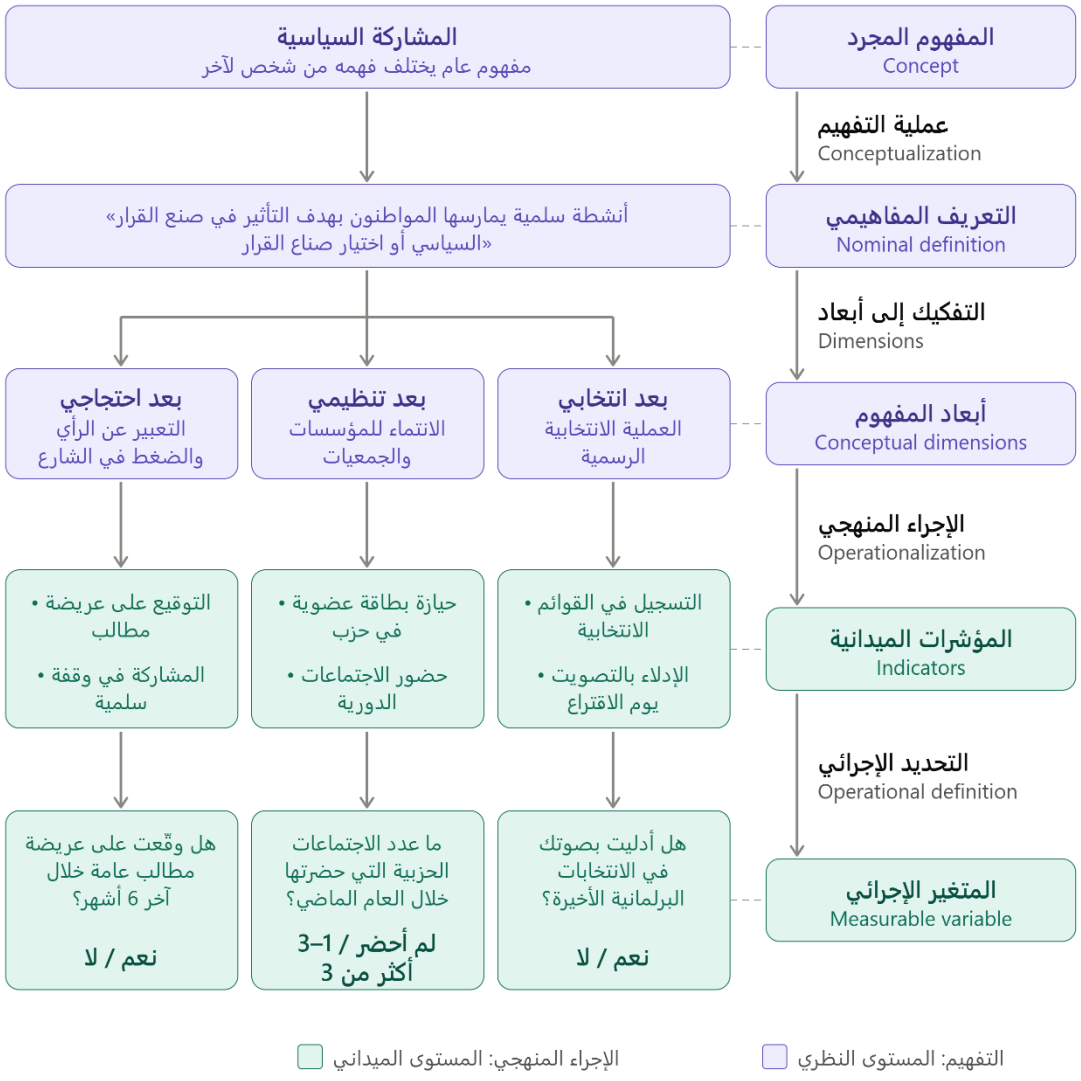
- **القابلية للإجراء والقياس** *(Operational Relevance and Testability)*: المفهوم العلمي هو مفهوم قابل للتحويل المنهجي من الصيغة التجريدية إلى مؤشرات وملاحظات ميدانية ملموسة، مما يجعله قابلاً للاختبار والتفنيد؛
- **النسبية والمرونة التطويرية** (*Relativity and Flexibility*): المفاهيم في العلوم الاجتماعية والسياسية ليست تعاريف جامدة أو مطلقة، بل هي أدوات معرفية تخضع للتعديل والتطوير في ضوء المستجدات الميدانية والاقترابات المنهجية المستحدثة؛

3. مسار التفهيم والإجراء المنهجي *(Operationalization/Conceptualization)*:

يعد الانتقال المنهجي من الفكرة التجريدية والمفهوم النظري إلى الملاحظة الميدانية والقياس أحد أهم الأركان في تصميم البحوث السياسية والاجتماعية:

نوضح في هذا المخطط مراحل الانتقال المنهجي من المفهوم المجرد إلى المتغير الإجرائي، بالاعتماد على الإجراء المنهجي لمفهوم الثقافة السياسية بأبعاده الثلاثة وفق نموذج "ألموند وفيربا" (1963).

شكل بياني 01: يوضح مسار التفهيم (Conceptualization) والإجراء المنهجي (Operationalization) في البحوث السياسية.



- **مسار التفهيم أو التأطير المفاهيمي** *(Conceptualization)*:

– **مفهومه:** العملية التحليلية التي يحدد الباحث من خلالها المعنى الدقيق والواضح للمفهوم المجرد، وتوضيح أبعاده النظرية ومكوناته المفاهيمية؛

- **مكونات التفهيم:**

– **التعريف المفاهيمي/النظري** *(Conceptual/Nominal Definition)*: تحديد المفهوم باستخدام عبارات ومصطلحات أكاديمية ونظرية تشرح فحواه وتحدده داخل الإطار المعرفي للدراسة لمنع اللبس؛

– **تحديد الأبعاد** *(Dimensions)*: تفكيك المفهوم العام التجريدي إلى محاور فرعية أو أبعاد رئيسية تمثل المحطات النظرية المختلفة للظاهرة المدروسة؛

- **الإجراء المنهجي والتحديد الإجرائي** *(Operationalization)*:

– **مفهومه:** العملية المنهجية التي يتم بموجبها تحويل الأبعاد النظرية للمفهوم إلى إجراءات، وخطوات، وأدوات محددة تسمح بملاحظته وقياسه فعليا في الواقع الميداني.

– **مكونات الإجراء المنهجي:**

✓ **المؤشرات (Indicators):** العلامات والمظاهر الملموسة القابلة للملاحظة المباشرة أو غير المباشرة والتي تدل على وجود البعد المفهومي في الميدان.

✓ **التعريف الإجرائي (Operational Definition):** صياغة دقيقة للمفهوم تربطه بأدوات جمع البيانات (كالاستبيان، دليل المقابلة، أو شبكة الملاحظة)، حيث ينقل المفهوم التجريدي إلى "متغير" (Variable) كمي أو كيفي محدد وقابل للقياس والتحلي.

جدول 01: توضيحي لمراحل التفهيم والإجراء المنهجي

المرحلة المنهجية	التوصيف والدلالة المنهجية	مثال توضيحي:
1. المفهوم المجرد (*Concept*)	البناء الذهني العام المعبر عن الظاهرة المدروسة.	الثقافة السياسية (*Political Culture*)
2. التعريف المفاهيمي (Definition/Nominal)	الصياغة النظرية والأكاديمية المحددة للمفهوم.	النمط التوزيعي للاتجاهات والنوازع النفسية للفرد نحو النظام السياسي.
3. تحديد الأبعاد (*Dimensions*)	تفكيك المفهوم إلى عناصر وأبعاد فرعية متميزة.	بعد معرفي؛ بعد وجداني؛ بعد تقييمي؛
4. استخراج المؤشرات (*Indicators*)	تحديد مظاهر ملموسة وقابلة للملاحظة لكل بعد.	متابعة الأخبار السياسية (معرفي)؛ الشعور بالفخر بالمؤسسات (وجداني)؛ تقييم أداء الحكومة (تقييمي)؛
5. التحديد الإجرائي (*Definition/ Operational*)	ربط المؤشرات بأدوات القياس وجمع البيانات (متغيرات).	**صياغة أسئلة الاستبيان: (1)** هل تعرف اسم الوزير؟ (نعم/لا)؛ (2) درجة فخرك بالمؤسسات؟ (عالية/متوسطة/منخفضة)

4. بناء المفاهيم بين المناهج الكمية والكيفية (Concepts in Quantitative and Qualitative Research):

لتحقيق التكامل المنهجي ، ينبغي التمييز بين كيفية التعامل مع المفاهيم بحسب الاقتراب المنهجي للبحث:

- **المفاهيم في البحوث الكمية (Quantitative Approach):**

- تصاغ المفاهيم وتعاريفها الإجرائية مسبقا وبشكل حاسم (a priori) قبل البدء في جمع البيانات.
- تحول المفاهيم إلى متغيرات محددة (مستقلة، تابعة، وسيطة، ومعدلة) تهدف إلى قياس العلاقات واختبار الفروض بدقة إحصائية.

- **المفاهيم في البحوث الكيفية(Qualitative Approach) :**

- تتصف المفاهيم بالمرونة والطابع الانبثاقي (Emerging Concepts)؛ حيث يبدأ الباحث بتعاريف توجيهية أولية، ثم تتحدد المفاهيم وتتطور أبعادها استقرائيا بناء على معاني المشاركين وتفاعل الباحث مع الميدان.

ملخص الخطوات للطلبة (الخريطة المنهجية): الإجراء المنهجي والتفكيك التطبيقي



II. النظرية في البحث العلمي

تشكل النظرية من المفاهيم الركن الأساسي في بناء البحث العلمي وصياغة الفروض، وتوجيه المناهج؛ حيث ترتبط بها الإشكاليات الكبرى التي تثير أسئلة أنطولوجية (وجودية)، وابستيمولوجية (معرفية)، وتاريخية.

1. ماهية النظرية وجذورها الابستيمولوجية:

- **الأصل اللغوي والدلالي:**

✓ **في اللغة العربية**، يشتق لفظ "النظرية" من الفعل الثلاثي (نَظَرَ)، ويُقال" :نَظَرَ في الأمر" أي تَبَصَّرَ فيه، وتَأَمَّلَهُ بعقله، وفَكَّرَ في معانيه وأبعاده؛ والنظرية بكونها مصدرا صناعيا تعبر عن البناء الفكري التأملي القائم على إعمال الفكر والعقل لإدراك الحقائق والعلاقات؛

✓ **في اللغات الأجنبية (Theory)**، تعود الكلمة إبستمولوجيا إلى الأصل اليوناني القديم (Theorein)، والتي تعني "يَرَى" أو "رُؤْيَة" (Vision / Sight)، أو "التأمل الناقد للواقع".

✓ **يظهر التمييز الإبستمولوجي بين العلم والنظرية**، في محافظة النظرية على معناها التأسيسي كـ"رؤية تأطيرية نقدية للواقع"، بخلاف مصطلح "العلم" (Science) المشتق من اللاتينية (Scire) بمعنى "يَعْرِف" (To Know)، والذي تطور تاريخيا من المعرفة المطلقة إلى التخصص الدقيق في دراسة الظواهر عبر الملاحظة والتجريب.

- **التأطير المنهجي لدى الباحثين لدى المدارس العلمية:**

تعددت التعاريف المنهجية للنظرية بتعدد الإبستمولوجيات المعتمدة لدى علماء وباحثي البحث العلمي والتحليل السياسي:

- **النسق الاستنباطي لـ"ر. براثوايت" (R. Braithwaite)**، يعرف النظرية بأنها: "مجموعة من الفروض التي تكوّن نسقا استنباطيا منظما، تترتب فيه الفروض اللاحقة منطقياً على الفروض المتقدمة"(مثال: افتراضات نظرية العقد الاجتماعي لدى هوبز ولوك).

- **القوانين التفسيرية المحايدة لـ"رالف داندروف" (Ralf Dahrendorf)**، يتصورها بوصفها: "مجموعة من القوانين التفسيرية الصارمة التي تستخرج منها استنتاجات دقيقة وغير متحيزة، تمتلك فاعلية عالية في تفسير وسلوك وتفكير الأفراد بناءً على واقعهم الموضوعي" (مثال: القوانين المفسرة للسلوك الانتخابي وتأثير التنشئة الاجتماعية والانتماء الطبقي على اختيار الناخبين.).
- **التحقق الإمبريقي لـــ"مونت بالمر" (Monte Palmer)**، الذي يمايز بين الفروض والنظرية؛ فيقول: "الفرض ادعاء مبدئي غير محقق بعلاقة بين متغيرين، بينما النظرية هي "إقرار صريح بوجود علاقة مثبتة تجريبياً بين متغيرات متعددة تتيح استنباط فرضيات جديدة واختبارها"[على سبيل المثال: الانتقال من فرضية الفقر (المتغير المستقل) والعنف (متغير تابع) إلى نظرية العنف السياسي (قانون علمي/تعميم امبريقي)].
- **البناء المفاهيمي المترابط لـــ"كيرلنجر" (Kerlinger)، يحددها بكونها:** " مجموعة من المفاهيم، والتعاريف، والقضايا المترابطة التي تقدم رؤية نظامية ومنهجية للظواهر من خلال تحديد العلاقات بين المتغيرات، بهدف تفسير الظاهرة والتنبؤ بها" (مثل نظرية الديمقراطية والعلاقة بين المشاركة والحقوق المدنية).
- **الوضوح المفاهيمي لـــ"فان دي بيرج ووالت" (Van Den Berg and Walt)**، تؤكد هذه المقاربة على ضرورة خروج النظرية بمفاهيم واضحة وغير غامضة تشرح ظواهر العالم الحقيقي بشكل يقبل الاختبار والتحقق..

- **التعريف الإجرائي الشامل للنظرية**

نسق فكري وتجريدي متكامل يتألف من شبكة من المفاهيم والبنى المترابطة، تتضمن تعاريف وقضايا تفسر ظاهرة واقعية بناء على علاقات سببية أو ارتباطية مثبتة إمبريقيا بين متغيراتها، بما يتيح استنباط فرضيات جديدة قابلة للاختبار والتحقق باستخدام أدوات البحث العلمي الموضوعية.

2. خصائص النظرية العلمية:

لتكتسب النظرية شرعيتها العلمية والإبستمولوجية في تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية، يجب أن تستوفي الخصائص المنهجية التالية:

- **القابلية للاختبار الإمبريقي:** يجب أن تتيح النظرية استخراج فرضيات ومؤشرات ميدانية يمكن جمع البيانات عنها لاختبار صحتها، أو إثبات عدم صحتها (التفنيد وفق معيار كارل بوبر Karl Popper).
- **الاتساق والقدرة التفسيرية:** خلوا البناء النظري من التناقضات الداخلية، والتوافق مع الحقائق الإمبريقية الملاحظة، مع امتلاك قدرة عالية على تفسير العلاقات وتجاوز مجرد الوصف الظاهري للواقع.
- الوضوح والشمولية: صياغة المفاهيم والمتغيرات بدقة وموضوعية، والإحاطة بالعوامل المفسرة للظاهرة دون إهمال المتغيرات الوسيطة أو المعدلة لمجرد صعوبة قياسها الميداني
- المسببية والطبيعة المؤقتة: النظرية في العلوم السياسية ليست عقيدة أو حقيقة مطلقة، بل هي بناء معرفي مؤقت قابل للتعديل، التطوير، أو التخلي عنه عند ظهور نظريات جديدة تتمتع بقدرة تفسيرية أعلى (تحول البرادايم وفق توماس كون Thomas Kuhn).

3. تصنيف النظريات وتعدد مستوياتها:

تتعدد تصنيفات النظريات في التحليل السياسي بحسب المعايير المنهجية والإبستمولوجية المعتمدة:

أولا، المعيار الوظيفي (Functional Criterion):

- **نظريات تفسيرية/الوضعية (Explanatory Theories):** تعامل الواقع السياسي كشيء خارجي وموضوعي مستقل عن الباحث (شبه الظواهر الطبيعية)، وتهدف إلى اكتشاف القوانين التي تحكم السلوك السياسي بصورة محايدة.
- **النظريات التكوينية/البنائية (Constitutive Theories):** ترى أن النظريات لا تصف الواقع فحسب، بل تسهم في "صياغة وإعادة بناء" الواقع الاجتماعي والسياسي؛ فالأفكار والنظريات تشكل وعي الفاعلين وتوجه سلوكياتهم (مثال: رؤية دولة لدولة أخرى كعدو تاريخي تصنع سلوكا دفاعيا/تسليحيا يجسد الواقع العدائي فعليا)

ثانيا، معيار المجال ومستوى الاهتمام (Scope Criterion):

قسم عالم الاجتماع "روبرت ميرتون" النظريات بناء على نطاقها إلى ثلاثة مستويات:

- **النظريات الكلية/الكبرى (Grand Theories):** أطر فكرية واسعة وشاملة تهدف إلى تفسير الظواهر السياسية الكبرى وصياغة تعميمات شاملة (مثل: نظرية النظم لـ ديفيد إيستون، ونظرية الصراع)
- **النظريات المتوسطة المدى (Middle-Range Theories):** نظريات تركز على نطاق محدد ومحصور من الظواهر بمتغيرات دقيقة قابلة للقياس الميداني المباشر، وتعد الأكثر استخداما في البحوث التطبيقية (مثل: نظرية الحرمان النسبي لـ تيد غور، نظريات السلوك الانتخابي).
- **النظريات الجزئية (Micro Theories):** نظريات تركز على دراسة سلوك الفرد أو الجماعات الصغيرة في مواقف محددة (مثل: دراسة اتخاذ القرار لدى قائد سياسي في أزمة محددة).

ثالثا- المعيار المنهجي (Methodological Criterion):

- **نظريات معيارية (*Normative Theories*):** وهي نظريات تتبنى مقولات فلسفية وقيمية حول ما يجب (مثل العدالة والأخلاق السياسية) دون اعتماد اختبار امبريقي.
- **النظريات الاختبارية/الإمبريقية (*Empirical/Testable Theories*):** تتألف من فرضيات تحدد العلاقة بين متغيرات وتخضع للاختبار الميداني والإحصائي للوصول إلى تعميمات وقوانين علمية مثبتة.

4. وظائف النظرية وثلاثيتها الفلسفية:

- **وظائف النظرية:**

تؤدي النظرية أربع وظائف رئيسية متكاملة في البحث العلمي:

- **التعريف والتحديد (*Identification and Conceptualization*):** رسم الحدود المفاهيمية لموضوع البحث، وتحديد الهوية الأنطولوجية للظاهرة وتصنيف مكوناتها.
- **الوصف (*Description*):** تقديم صياغة منهجية دقيقة لخصائص الظاهرة ومكوناتها والعوامل المؤثرة فيها، ورصد أوزانها النسبية.

- **التفسير** (*Explanation*): كشف العلاقات السببية والارتباطية بين الظواهر، من خلال ربط المتغير التابع (الظاهرة المراد تفسيرها) بالمتغيرات المستقلة (العوامل المفسرة).
- **التنبؤ والتقييم** (*Prediction and Evaluation*): استشراف السلوك المستقبلي للظاهرة في حال تحقق شروط محددة، وتوفير أطر مرجعية لصناع القرار لتقييم السياسات العامة.
- **الثلاثية الفلسفية المؤطرة للنظرية:**

تستند أي نظرية علمية في العلوم السياسية إلى ثلاثة أركان فلسفية مترابطة:

- **الأنطولوجيا** (*Ontology* - **علم الوجود**): تحدد طبيعة الواقع السياسي المراد دراسته (مثال: هل السلطة السياسية كيان مادي ملموس ومؤسسات، أم هي شبكة تفاعلات ورموز معنوية بين الفاعلين؟).
- **الابستيمولوجيا** (*Epistemology* - **علم المعرفة**): تحدد طبيعة العلاقة بين الباحث والواقع، وكيفية التوصل إلى معرفة موثوقة (هل نصل للمعرفة عبر القياس الكمي المحايد، أم عبر التفسير والفهم الكيفي لمقاصد الفاعلين؟).
- **الميثودولوجيا** (*Methodology* - **علم المناهج**): تحدد الإجراءات المنهجية والأدوات التحليلية والميدانية (استبيان، المقابلة، تحليل المحتوى) المناسبة لجمع الأدلة واختبار الفروض والتحقق من صحتها.

III. العلاقة التفاعلية والتكاملية بين المفهوم والنظرية

تتميز العلاقة بين المفهوم والنظرية في البحوث السياسية والاجتماعية بالديناميكية والتكامل الوثيق؛ إذ لا توجد نظرية بدون مفاهيم تشكل هيكلها، ولا تكتسب المفاهيم دلالتها العلمية إلا داخل إطار نظري يُوجهها ويحدد أبعادها

1. المفهوم كـ "لبنة بناء" النظرية:

- **الخلايا الأساسية للبناء النظري:**

تتكون النظرية من قضايا وفرضيات، وتتكون هذه الفرضيات بدورها من مفاهيم تربط بينها علاقات منطقية وسببية؛ بالتالي، فإن المفاهيم هي المواد الخام والأحجار التأسيسية التي يبنى منها هيكل النظرية.

- **تحويل الأفكار إلى قضايا اختبارية:**

من خلال تفكيك المفاهيم وتحديد أبعادها ومؤشراتها، تتمكن النظرية من صياغة فرضيات محددة تعبر عن العلاقات بين (متغير مستقل) و(متغير تابع)، مما يجعل النظرية قابلة للاختبار الميداني.

- **مثال:** تتركب "نظرية السلام الديمقراطي" (Democratic Peace Theory) من مفهومين محوريين: (مفهوم النظام الديمقراطي) و(مفهوم السلام/النزاع المسلح)، حيث تفترض النظرية وجود علاقة عكسية بين ديمقراطية الدول واحتمالية نشوب الحرب بينها.

2. النظرية كإطار وموجه للمفهوم:

- **تحديد الدلالة والمضمون المعرفي:**

لا يتمتع المفهوم بدلالة ثابتة ومطلقة بمفرده، بل يستمد معناه الدقيق من الإطار النظري الذي يندرج ضمنه؛ فالمفهوم الواحد قد تتغير أبعاده ومؤشراته بتغير النظرية المتبناة.

- **مثال تطبيقي: مفهوم "الدولة" (The State):**

✓ في النظرية الواقعية: يعرف إجرائيا بوصفها الفاعل المحوري العقلاني والسيادي الممتلك لاحتكار القوة المادية؛

✓ في النظرية الماركسية: تعرف بوصفها أداة هيمنة طبقية وتنظيم سياسي لخدمة المصالح الاقتصادية للطبقة المالكة لوسائل الإنتاج؛

✓ في النظرية البنائية: تعرف بوصفها كيانا هوياتيا يتشكل عبر التفاعل الاجتماعي والقيم والأفكار المشتركة.

- **منع التشتت المفاهيمي:** توفر النظرية للباحث "عدسة تحليلية" تمنعه من التشتت في جمع البيانات، وتحدد له أي الأبعاد والمؤشرات المفاهيمية أكثر أهمية لظاهرة بحثه.

3. الديناميكية الدائرية بين المفهوم والنظرية في التحليل السياسي:

لا تسير العلاقة بين المفهوم والنظرية في اتجاه خطي مغلق، بل تشكل حلقة معرفية مستمرة ودائرية (Cyclical Knowledge Loop) في منهجية البحث العلمي:

✓ تبدأ العملية العلمية إما بـ **نظرية قائمة** تشتق منها المفاهيم والفرضيات لاختبارها ميدانيا (مسار استنباطي).

✓ أو تبدأ بـ **ملاحظات ميدانية ومفاهيم ملموسة** تجمع بياناتها للوصول إلى تعميمات ونظريات جديدة (مسار استقرائي).

✓ تؤدي النتائج الميدانية باستمرار إلى تعديل التعاريف المفاهيمية وتطوير النظريات وتحديثها.

- **من المفهوم إلى النظرية (المسار الاستقرائي):**

ينتقل الباحث في هذا المسار من الخاص إلى العام (من الملاحظات الجزئية والمفاهيم الميدانية نحو بناء النظرية وتعميمها). أما خطوات المسار الاستقرائي:

✓ الملاحظة الميدانية: رصد سلوكيات ومظاهر واقعية محددة في الميدان.

✓ بناء وتطوير المفاهيم: صياغة مفاهيم أولية تُعبر عن تلك الملاحظات وتحديد مؤشراتها.

✓ اكتشاف الأنماط والعلاقات: رصد تكرار العلاقات بين المفاهيم في حالات متعددة.

✓ الصياغة النظرية (تعميم إمبريقي): الوصول إلى بناء نظري وقوانين عامة تفسر الظاهرة.

- **من النظرية إلى المفهوم (المسار الاستنباطي):**

ينتقل الباحث في هذا المسار من العام إلى الخاص (من النظرية العامة والفرضيات التجريدية نحو الإجراء المفاهيمي والتحقق الميداني؛ وخطوات المسار الاستنباطي:

✓ **التبني النظري:** البداية بنظرية علمية قائمة ومصاغة سابقاً.

✓ **اشتقاق الفروض والمفاهيم:** استخراج فرضيات محددة ومفاهيم مجردة من البناء النظري.

✓ **التفهيم والإجراء المنهجي:** تفكيك المفاهيم إلى أبعاد ومؤشرات إجرائية وتصميم أدوات القياس (استبيان/ملاحظة).

✓ **الاختبار الميداني والقبول/الرفض:** جمع البيانات الميدانية لاختبار مدى مطابقة الفرضيات للواقع، ومن ثم تأييد النظرية أو تعديلها.

جدول 02: مقارنة بين المسارين الاستقرائي والاستنباطي في التحليل السياسي

وجه المقارنة	المسار الاستقرائي (*Inductive Path*)	المسار الاستنباطي (*Deductive Path*)
اتجاه التحليل	من الجزئي (الملاحظة والمفهوم) إلى الكلي (النظرية).	من الكلي (النظرية والفرضية) إلى الجزئي (الملاحظة الإجرائية).
نقطة الانطلاق	الملاحظة الميدانية وجمع البيانات حول المفاهيم.	النظرية القائمة والأطر الفكرية المسبقة.
الهدف المنهجي	بناء وتوليد نظريات جديدة (Theory Building).	اختبار والتحقق من نظريات قائمة (Theory Testing).
الاقتراب المفضل	شائع في البحوث الكيفية والأنثروبولوجية.	شائع في البحوث الكمية والإحصائية القياسية.
موقع المفهوم	المفهوم ينبثق ويتطور أثناء الدراسة الميدانية.	المفهوم يُحدد ويتعرف إجرائياً قبل البدء بالجمع الميداني.

IV. خاتمة المحاضرة:

يستنتج الباحث في منهجية العلوم السياسية أن المفهوم والنظرية يمثلان جناحي العملية المعرفية والبحثية؛ فلا إمكانية لقيام بحث سياسي موضوعي ودقيق دون بناء مفاهيمي رصين، ينقل الظواهر من مستواها العفوي المجرد إلى مؤشرات قابلة للقياس، ولا قيمة للمفاهيم والمؤشرات الميدانية إن لم تكن مؤطرة وموجهة بنسق نظري يمنحها التفسير والدلالة العلمية. لإن التفاعل الخلاق بين المسارين الاستقرائي والاستنباطي، يضمن ديناميكية التراكم المعرفي وتطور البرادايمات العلمية في العلوم السياسية.